

نسخة متداركة من المراثي لديورا

إدريس عيسى

مراثي " منى "

(السائرة في رفقة الضوء بلباس صاف)

متواليه الفقد)

إلى روح أمي في ترخالها الكوني السعيد ، هناك

(والشمس تجري لمستقر لها)

قرآن كريم ، يس ، 37

- 1

حصانٌ أبيض

مجبولٌ من يقظةٍ ونأي

مضاءٌ كفلهُ بيقتته

تحدرُّ إليك من سراح ذاكرة

وارتحالٍ عيين

مشى منجذبا إلى يديك في هدأة الأشجار

كأنه يعرفهما في تلويح ورائحة

كأنك تحملين مژودَه لَدَى جفنة مائه المنذور
وتصليين عرفه بالصباح

دنا من ديوانك فَنِمْتِ
ونامت ستائرُ العُرفِ الصغيرة
وهدأت رِيحٌ في حديقة الأكاسيا
وجاء الليل الذي شمل الجذر
ولم يَزِخْ كَفَيْهِ عن النوافذ
ولا عن أعيننا .

- 2

الحصان أتى
من بريّة فسيحة معلقة في حلم بنت الخالة
قبل أن تحكي حلمها
قبل أن تنامي بعيدا عن الساعات والتقويم

بلا سرج ولا لجام تَقَدَّمَ
ليزفر صوب مخدتك
وأنت تنظرين أعلى
تترصدّين العُذاف الأخير
الذي يحوم في الما وراء

برينةً من الوقت والناس
برينةً من جسّدك المخدول؛

ترايك الذي حملته إلى آخر التراب

- 3

حصانٌ خامٌ

لا ينشطر ظله الموفور في أرض

لا تقيدُه شمس

ولا تأخذه العتمة

حصان من هناك ؛

حيث تَعْمَى الخرائطُ

وجداول الرمل

والكتب

مدهونٌ عُرْفُه برائحة فُصوى

نعرفها دائماً

كلما تذكرنا إسطبلات الليل

حيث، بمصابيح وقور كابية

ولباس من غيرة ورحيل ،

يتيه حَوَاديُّ عُشِّي

مُنَقَّرِينَ رائحة الخيل

التي لن يعودوا بها

معقودة بأيديهم أعرافها الحرة

- 4

كأنَّ ناصيةَ الحصانِ المُسبلةَ في كمالها
تدلَّت على مخدتك ووجهك
فراحت بك عيناك
إلى الضوء الواحد

الذي يوحد السبل
في شتات الأرض

- 5

بياض البهيمة
ظلُّ مطموسٍ لكفنٍ معلَّق
تَنُوس به ريحٌ في شجرة ميته

بياض البهيمة تلك
سَمَرَ الظلمةَ في الجذامير
والهُبايات العتيقة
وراء بيتك الذي مرَّت به الخيل

- 6

كانك لم تنامي

دائماً نعود إلى الفراغ
حيث كانت يداك تَسُنْدَانِ الهواء
وجسمك المسجى يتقلب
كنهر محتجز في سريره
تتجاذبه المصباتُ والينابيعُ
والضئقتان

كانك لم تبرحي
ولم يُحاذِ الحصانُ ليل الحديقة
ولم يضاعف بياضه ظلمة الجذوع
جوار بيتك الذي مرت به الخيل

- 7

لم أعد تحت شجرة الأمومة
صحراء انطبقت على شفتي
لل كلمات أجنحة من ملح وغبار
ووجهي إزاء الموت
هأنذا مرة أخرى أتلعثم
على عتبات الرماد

- 8

الألم، دائماً، شمسٌ باكرة
تُفجأ الشرفات والأبواب والجُدُر

وَتُعْشِي مِنْ يَرَى الظلال
كي يسأل عما يحجبه الضوء العتي
وعن يديه تدعوها العتمة
كي يتذكّر صحوة القندي

- 9

الكتاب، مفتوحا إلى آخره
وموضوعا على حافة الفهم،
ذُرُور يُدَوِّم في مهمه
الرُّحْل، مشدودين إلى المدى،
حادوا عن منزل الكوكب

السُّبُل التبتت في أرجلهم
وفي أعناق البهائم

والطريق الذي هم فيه
يعطيهم رائحةً واحدة :
كأنما الأرض والألبسة القديمة
تصعدان من قعر التوابيت

- 10

حصان ؛
عينان تجذبان الغياب
وعرفتُ سابغ يتهدّل في كمال

كأن الحيوانَ استراحةُ الضوء
من المرأة الكمداء
التي بها يتقدم الليل ناديةً أشباهه

طائشا في رداه الكون
ممزقا أخصيه

على صخر كوكب يولد